شرح كتاب التوحيد الذي هو حق الله على العبيد

الشيخ علي سلطان الجلابنة

الفصل الثاني للعام ١٤٣٦

معهد العلوم الشرعية العالمي
تابع لملتقى طالبات العلم www.t-elm.net

السلام عليكم ورحمة الله..

نحمده جل جلاله ونصلي ونسلم على نبيه الكريم، وعلى آله وصحبه والتابعين أما بعد.. سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم، ولا سهل لنا إلا ما سهلته لنا إنك أنت الجواد الكريم، وبعد،، يا رب لك الحمد كما ينبغي لجلال وجهك ولعظيم سُلطانك.

أخواتي حياكم الله وبياكم وأسأل الله عز وجل أن يتقبل منّا ومنكم هذه الخُطى، وقد وقفنا في آخر مرة في شرح هذا الكتاب العظيم المبارك كتاب التوحيد للإمام المجدد محمد ابن عبد الوهاب عندما في ما جاء في الاستسقاء بالأدواء، قال المؤلف رحمه الله تحت هذا الباب: وقول الله تعالى: ﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ﴾ [الواقعة:٨٢]، قال أبو مالك الأشعري رضي الله تعالى عنه وأبو مالكٍ هو أكثر من واحدٍ في زمن النبي صلى الله عليه وسلم، عُرف بهذه الكُنية، لكن رجح أهل العلم أن هذا الذي هو أبو مالك الأشعري رضي الله عنه هو أبو سلام الأسود هو الحارث ابن الحارث رضي الله عنه ورحمه الله.

قال أبو مالك الأشعري، قال: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "**أربعٌ من أمتي من أمر الجاهلية لا يتركونهن، الفخر بالأحساب والطعن في الأنساب والاستسقاء بالنجوم والنياحة**" وقال: "**النائحة إذا لم تتب قبل موتها تُقام يوم القيامة وعليها سربال من قطران، ودرعٌ من جرب**" رواه مُسلم نسأل الله السلامةُ والعافية.

قال: ولهما من حديث ابن قال: ولهما عن زيد ابن خالد رضي الله تعالى عنهُ أنه قال: قال: " **صَلَّى لَنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صَلاَةَ**

الصُّبْحِ –يعني صلاة الفجر– بِالحُدَيْبِيَةِ عَلَى إِثْرِ سَمَاءٍ كَانَتْ مِنَ اللَّيْلَةِ، فَلَمَّا انْصَرَفَ أَقْبَلَ عَلَى النَّاسِ، فَقَالَ: «هَلْ تَدْرُونَ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ؟» قَالُوا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: " أَصْبَحَ مِنْ عِبَادِي مُؤْمِنٌ بِي وَكَافِرٌ، فَأَمَّا مَنْ قَالَ: مُطِرْنَا بِفَضْلِ اللَّهِ وَرَحْمَتِهِ، فَذَلِكَ مُؤْمِنٌ بِي كَافِرٌ بِالكَوْكَبِ" وَأَمَّا مَنْ قَالَ: بِنَوْءِ كَذَا وَكَذَا، فَذَلِكَ كَافِرٌ بِي مُؤْمِنٌ بِالكَوْكَبِ".

عباس رضي الله عنهما معناه قال وفيه قال بعضهم قد صدق له كذا وكذا، فأنزل الله تعالى هذه الآيات ﴿فَلا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ﴾ [الواقعة:٧٥]، إلى قوله: ﴿تُكَذِّبُونَ﴾ [الواقعة:٨٢]، هذا الباب بابٌ عظيمٌ من أبواب كتاب التوحيد، أراد المصنف رحمه الله أن يُبين في هذا الباب علاقة النجوم بالمطر، إذًا أن يبين مسألة مهمة وهي علاقة النجوم بالمطر، وأراد أن يُبين اعتقاد الناس في هذه العلاقة، فهو قريبٌ جدًا من الباب الذي قبله، ولكنه بابٌ خاصٌ بهذه المسألة بعد ما ذكر التنجيم في الباب الماضي، وتكلم عنه بشكلٍ عام.

وثم تشابه بين هذا الباب وبين الباب الذي قبله، فكلاهما يتحدثُ فيهما المصنف عليه رحمه الله عن النجوم، وعن أثر هذه النجوم، لكن هذا الباب خاصٌ بهذه القضية، نسبة المطر إلى النجم، والذي قبلهُ عامٌ في الإخبارات المنسوبة إلى النجم، إخبارات عامة، فقال له هنا باب ما جاء في الاستسقاء، ما المقصود بالاستسقاء بارك الله فيكم؟ الاستسقاء هي طلبُ ماذا؟ هي طلب السُقية وطلب المطر من الله عز وجل، فالسين والتاء تدل على الطلب، فمادة استفعل تدل على الطلب، استرحم طلب الرحمة، استنصر طلب النُصرة وهكذا..

فاستسقى يعني طلب السُقية، والأنواءُ جمع نوء وهي مصدر من ينوء نوءًا يعني طلع وظهر، فالأنواع هي المطالع، والنوء هو النجم، فالأنواء هي الطوالع أو طوالع النجوم، وسُمي النجم نوءًا لأنه ينوء يعني يظهر، هذا الكلام في الترجمة.

طيب حكم الاستسقاء بالنجوم، الحكم بالاستسقاء يكون مِن مَن أخواتي بارك الله فيكم؟ الأصل بالاستسقاء أن يكون من من؟ من الله، ولا نستسقي بأحد إلا بالله عز وجل، وأما حديث عمر رضي الله عنه: "كنا نستسقي بالنبي صلى الله عليه وسلم، وها نحنُ نستسقي بعمه العباس" فما المقصود هنا نستسقي به؟ ها يا أخواتي بارك الله فيكم؟ المقصود هنا هو أن كنا نطلب من النبي صلى الله عليه وسلم أن يسأل ربه وأن يطلب من ربه سبحانه وتعالى أن يسقينا، فلما مات النبي صلى الله عليه وسلم طلبناها من عمه العباس لا لأنه فقط قرابة للنبي صلى الله عليه وسلم، بل لأنه كان رجلًا صالحًا بينًّا وهكذا. واضح أخواتي بارك الله فيكم؟

إذًا الاستسقاء الأصل أن يكون بالله عز وجل، فما حكم الاستسقاء بالنجوم؟ قلنا يختلف الحكم باختلاف الاعتقاد، ومن ثم نقول فهي على عدة نقاط يعني هذه المسألة، النقطة الأولى أن يعتقد الإنسان أن النوء يعني النجم هو الموجد للمطر، وهو المنزل للمطر، يعني يعتقد اعتقاد تام أن الذي أنزل المطر ليس هو الله، بل هو النجم الفلاني، النوء الفلاني، فهذا حكمه ماذا؟ هذا حكمه نسأل الله السلامة شركٌ أكبر في باب الربوبية، الدليل قول الله عز وجل: ﴿هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ﴾ [فاطر:٣]، فهذا استفهام مشرب بالنفي يعني لا خالق إلا الله يخلق هذه الأشياء.

القضية الثانية أو النقطة الثانية منهم من لا يعتقد أنها خالقة للمطر، ولكن يدعو النوء ويستغيث بالنجم لإنزال المطر، هو يدري أنها لا تنزل مطر لكنه يدعوها لإنزال المطر، فهذا أيضًا شركٌ أكبر ولكنه في باب الإلوهية، لأنه دعا غير الله، فيما لا يقدر عليه إلا الله، مثال ذلك أن يقول يا أيها النجمُ الفلاني نسألك أن تنزل علينا المطر، أو يقول يا نوء كذا وكذا استقنا وأنزل علينا المطر، وكان بعض العرب يدعوا النجوم فالله عز وجل أخبر عنهم وقال لهم: ﴿وَأَنَّهُ هُوَ رَبُّ الشِّعْرَى﴾[النجم:٤٩]، والدليل على قوله هذا، قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾ [الجن:١٨]، واضح هذا النوع أخواتي بارك الله فيكم؟

النوع الثالث نسبة سبب، يعني أن يجعلها سببًا للمطر، والله تعالى هو الفاعل، فيقول نحن نجعلُ طلوع النجم أو النوء أو غروبه سببًا لهطول الأمطار بعد نزول المطر مثلًا، يقول يعني بعد ما ينزل المطر، نزل المطر بسبب أن النجم الفلاني كذا وكذا.. واضح أخواتي بارك الله فيكم؟

وهذا شركٌ لكنه شركٌ أصغر واضح أخواتي بارك الله فيكم؟ هو ينزل ولا ندعوه لكنه يعتقد أنه بغروبه بسبب غروبه يعني هو سبب في نزول المطر.

والنوع الرابع أن يعتقد أو أن يقول أو أن ينسب، الآن الإنسان عندما يمسك في يده خيطًا أو حلقةً يضع فيها، وتكلمنا عن هذه المسألة قلنا إذا اعتقد أن هذه الحلقة تُذهب العين وتذهب الأذى بنفسها فهذا شركٌ أكبر، تذكرون هذا الكلام؟ لكن قلنا إذا اعتقد أن الذي يزيل العين ويزيل الأذى هو الله، لكن هذه الحلقة سببٌ في إزالة العين، لكن ليست بذاتها، بل بقدرة الله فهذا شركٌ أصغر، واضح بارك الله فيكم؟

وهذه الخطية قريبة منه، قريبة جدًا هم قالوا الذي ينزل المطر الله عز وجل، لكن لا ينزل المطر إلا إذا سقط النجم الفلاني، أو ظهر النجم الفُلاني، يعني بسبب ظهور النجم الفلاني أنزل الله المطر واضح بارك الله فيكم؟ فهذا هو الشرك الأصغر.

والنوع الرابع هي نسبة إخبار كأن يتحدث إنسان ويقول سوف ينزل مطرٌ إذا طلع النجم الفلاني، يقول إذا طلع النجم الفلاني فأعلموا أنه سيُمطر، وهذا أيضا شركٌ أكبر، لماذا؟ لأنه تحدثٌ عن المغيبات، وهذا ما يفعله ﴿قُلْ لا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ﴾ [النمل:٦٥]، لكن انتبهوا في هذا القسم، أنا قلت هو يقول يحدث الناس إذا طلع النجم الفلاني، ستُمطر الدُنيا، ولا دخل للنجم الفلاني بالمطر أبدًا.

والفرق بين هذا القسم والقسم الذي قبله أنه هنا أخبر عن أمرٍ سوف يحدث ولا علاقة له بالمطر، لكن القسم الذي قبله هو قال إذا وقع المطر قال وقع المطرُ بسبب نزول أو طلوع النجم الفلاني أو النوء الفلاني، فالفرقُ بينهما واضح، والفرق بينهما في الحكم أيضًا واضح.

النوع الأخير نسبة وقتٍ، يعني يجعله علامة؟ لا ليس علام بارك الله فيكم، النوع الثالث جعله سبب، النوع الرابع ما في سبب، ما في علاقة بين النجم الفلاني والمطر هو يرمي بالغيب، يُحدّث شيء بالغيب، يقول إذا طلع النجم الفلاني ستمطر الدُنيا.

الآن النوع الخامس سنجيب فيه على جواب الأخت التي سألت، النوع الخامس نسبة وقت ثم ظرف، بأن يجعل وقت نزول المطر خروج النجم الفلاني، فليس النجم سبب ولا هو موجب للمطر، أو موجد للمطر وإنما هو وقت

هطول الأمطار، يعني يقول مثلًا وقت نزول المطر عندنا وقت طلوع نجم فُلان مثلًا، أو وقت نزول المطر يخرج نجم سيل مثلًا أو نجم كذا، فهذا يُخبر عن شيء على عبر الزمن أن ثمة ايش يا أخواتي بارك الله فيكم؟ ثمة علاقة، يعني عندنا بعض النجوم لها وقت في الخروج، أو النزول.

فهناك مثلًا نجم مُعين خلاص وقت معروف مثلًا في الشتاء، أو وقته مثلًا نزوله في الربيع، فالناس يقولون تُمطر عند خروج نجم سُهيل، فعند خروج نجم سُهيل مثلًا فهذا الوقت قد مطر، قد يتأخر المطر أو يتقدم، لكن هذا الوقت هو وقتٌ الأصل فيه أنه ينزل فيه المطر، فهذا القسم وقع الناس فيه على قولين منهم من أجازه، ومنهم من كرهه.

الآن الذين يخبرون الأرصاد الجوية يقولون مثلًا السماء في هذا الأسبوع ستُمطر، هم لا يضربون هذا رجمًا بالغيب، بل هم يخبرون عن طريق الأرصاد الجوية، هم يرصدون حركة الرياح والسُحب، وأنها تمشي من منطقة كذا وستمر بمنطقة كذا بعد كذا أيام، لذلك كثيرًا ما نرى في الأخبار خصوصًا عندنا هنا في بلاد الشام، ينزل مطرًا كثير، لكن سبحانِ الله يخرج المذيع على التلفاز ويقول غدًا مطر، فاليوم سبحان الله لا يظهر مطر، فيخرج ثاني يوم يقول اليوم إن شاء الله مطر ويبتسم، ليس كالأمس يقول أنه في مطر، لكن اختلفت حركة الرياح أو جاءت رياح أخرى أخذت السُحُب، هذا ليس من باب الإخبار أو الرجم بالغيب بل هو من باب ربط الأشياء بمسبباتها وما شابه ذلك، وهذا مبنيٌ على علوم كما قالت الأخت، والله تعالى أعلم، واضح أخواتي بارك الله فيكم؟

قال: وقول الله عز وجل: ﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ﴾ [الواقعة:٨٢]، يعني وتجعلون شكر الله على ما رزقكم، وتجعلون شكر الله يعني

بدل أن تشكروا الله على ما رزقكم أخذتم تنسبون هذا الرزق الذي رزقكم الله إلى أشياء أخرى؛ إلى الأنواء وإلى النجوم، وذا تكذيبٌ منكم بقضية عظيمة وهي أن الزرق من الله، والمعنى تكذبون أنه من عند حيث تضيفون حصوله إلى غيره، كنجم كذا ونجم كذا وهذا ليس من شكر الله عز وجل.

﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ﴾، ثم قال: وعن أبي مالك الأشعري قال: "أربعٌ في أمتي" يعني أربع خصال، وهذا ليس للحصر، بل هو لضرب المثال ولتوضيح المقال، "أربع في أمتي من الجاهلية" يعني من خصال أهل الجاهلية وأفعالها، ولو سألك سائل وقال لكي ما المراد بالجاهلية؟ فنقول الجاهلية تُطلقُ على أشياء، لكن المراد منها هُنا ما حدث أو ما كان قبل البعثة، قبل بعثة النبي صلى الله عليه وسلم، وسُميت جاهلية لأنهم كانوا على جهلٍ وضلال، سواء في العقيدة أو في العلم وما شابه ذلك.

ثم قال: "الفخر في الأحساب" يعني التشرف والتعاظم على الناس بالآباء وعد مناقب هؤلاء الآباء والافتخار بهم فهذا من أمور الجاهلية، ثم قال: "والطعن في الأنساب" يعني القدح في نسب الشخص وتعييره بما صنع آباءه وأجداده من أشياء قد تسلب في الشخص، فخلاص بكل أمة قد كسب ﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ﴾ [البقرة:١٣٤]، فلا نطعن في أولئك القوم ، فمن طعن فيهم فقد وقع في خصلة من خصال الجاهلية، نسأل الله السلامة.

"والاستسقاء بالأنواء" يعني نسبة السُقية والمطر إلى النجوم والأنواء وهذا هو وجه الشاهد من هذا الحديث الاستسقاء بالنجوم، فهم كانوا ينظرون على

أن هي الموجدة للمطر أو أنها هي سبب لنزول المطر، ولكن هي الموجز لذلك حقيقة من هو يا أخواتي بارك الله فيكم؟ هو الله سبحانه وتعالى.

قال: "والنياحة" يعني رفع الصوت بالندب على الميت بأن تأتي إحداها وتعد محاسنه وهذا نسأل الله السلامة مما نهى النبي عنه صلى الله عليه وسلم، قال بعد ذلك: **ثم تُقام فيها ويأتي يوم القيامة**، يعني تُبعث يوم القيامة فتُقامُ، نعم على وجه التسخط، ما هو الذي على وجه التسخط؟ ترفع صوتها وتندبه متسخطة على ربها أحسنتم.

ثم تُقام هذه المرأة التي تفعل هكذا ويؤتى بها يوم القيامة، السربال طبعًا هو السربال واحد السرابيل هو القميص والقطران هو الزفت الذي يضعونه في الشوارع، فقوله رضي الله عنه أو قوله صلى الله عليه وسلم: " النائحة إذا لم تتب" قال في نهايته: "تُقام يوم القيامة وعليها سربال من قطران ودرعٌ من جرب"، قال بعض أهل العلم ودرعٌ من جرب، الجرب هو مرض معروف يكون في الجلد، يؤرق الإنسان أو الحيوان وربا يقتل الحيوان.

المعنى أن كل جلدها يكون يوم القيامة عبارة عن جرب بمنزلة الدرع الذي يُغطي جسدها، كل جسدها نسأل الله السلامة، ثم يوضع على هذا الجرب القطران وهو يضعونه على الدواب فإذا اجتمع القطران والجرب زاد البلاء نسأل الله السلامة لأن الجرب إذا مسّه أي شيءٍ يتأثر، إذا حككتهُ أو حسستيه استثار على الإنسان نسأل الله السلامة، وكبر حجمه ويبقى الإنسان أو الحيوان يحك ويحك ويحك حتى يموت أو يحدث الله له أمرًا.

والحكمة نسأل الله السلامة أنها لم تُغطي المصيبة التي أصابتها بالصبر، فغطيت يوم القيامة بهذا الغطاء سربال من قطران ودرع من جرب، فكانت العقوبة من جنس العمل أجارنا الله وإياكم منها.

قال: ولهما عن زيد ابن خالد، يعني البخاري ومسلم ولهما، الحديث قال: "صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالحديبية" وهذا حديث عظيم، صلى بنا يعني صلاة الفجر في الحديبية مكان معروف قريب من الحرم المكي من جهة جدة، ويسمى الآن بالشميسي، قال: "صلى بنا على أثرِ سماء" يعني بعد مطر نزل بالليل، قال: " فلما انصرف" يعني انتهى من صلاته، "أقبل على الناس وقال لهم" أقبل على الناس يعني قابلهم بالوجه، "هل تدرون ماذا قال ربكم؟ " والاستفهام هنا يراد به التنبيه للصحابة، والتشويق لما سيلقي عليهم صلى الله عليه وسلم وإلا فالرسول عليه الصلاة والسلام يعلم أنهم لا يعلمون ماذا قال الله، لأن الوحي لم ينزل إلا عليه صلى الله عليه وسلم.

"قالوا له: وماذا قال الله؟" قال: "أصبح من عباده من الناس مؤمن" يعني شاكر لنعمي وكافر لنعمتي، ولذلك قال العلماء يحرُم أن يقول الإنسان المقر بنوء كذا، لكن يجوز له أن يقول مطرنا في نوء كذا، ففرقوا بين الباء السببية وبين ال في الظرفية، أنه قال مُطرنا بنوء كذا وجعل الباء للظرفية جاز، ولكن أولى أن يتركها، ولكن هذا الحديث حديث عظيم، دل فيه على أن الناس ينبغي أن ينتبهوا لكلامهم فمجرد تغييرهم لحرف من الحروف أغضب الله عز وجل، فالإنسان لابد أن ينتبه لكلامه وأن يحسب لكلامه ألف حساب قبل أن يقوله.

قال: "ولهما" من حديث ابن عباس والظاهر هنا أنه سبق قلم أو أنه أخطأ رحمه الله، وإلا فالحديث هنا في مسلم، في صحيح مسلم، قال: قال

بعضهم لقد صدق النوء كذا وكذا يعني معنى الحديث أنه لما نزل المطر نسبه بعضهم إلى رحمة الله، وبعضهم قال صدق نوء كذا، فكأنه قال النوء هو الذي أنزل المطر، أو بسبب طلوع كذا ونزول كذا من الأنواء أو النجوم فجعلهم سببًا، فاللام هنا لام زائدة.

قوله: فلا أقسم يعني أقسم بواقع النجوم، مواقع النجوم يعني مساقطها أو أماكن غروبها، فالله عز وجل أقسم بهذه النجوم، ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ﴾[الواقعة:٧٥]، ﴿وَإِنَّهُ﴾ [الواقعة:٧٦] يعني القسم الذي أقسمه ﴿وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ﴾، ﴿إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ﴾[الواقعة:٧٧] يعني هذا القرآن كثير الخير، وعظيم الخيرات على الإنسان، ﴿فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ﴾[الواقعة:٧٨] هنا المراد بالكتاب هو الذي في أيدي الملائكة اللوح المحفوظ، مكنون يعني محفوظ عن التبديل وعن التغيير.

ثم قال: ﴿لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ﴾ [الواقعة:٧٩]، يعني لا يمس هذا الكتاب الذي هو عند الله عز وجل، الذي هو بأيدي أمينة وهم الملائكة، لا يمسه إلا المطهرون، المطهرون هم الملائكة، وليس البشر وليس المقصود به القرآن، لأن البشر متطهرون وليس مطهرون فالمطهر دائمًا طاهر كالملائكة، وأما المتطهرون أحيانًا قد تصيبهم الأحداث كالحدث الأصغر أو الأكبر.

وقد ذكر ابن القيم أدلة كثيرة في هذه الآية ﴿لا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ﴾ على أن المقصود أنه اللوح المحفوظ، والمطهرون الملائكة، فالذي يعني أو التي تريد البحث تذهب إلى كلام ابن القيم رحمه الله.

قال: ﴿أَفَبِهَذَا الْحَدِيثِ أَنْتُمْ مُدْهِنُونَ﴾[الواقعة:٨١]، يعني ما لون به مع الكفار وأقوالهم وأفعالهم فيه، تجعلون رزقكم في المطر يعني أنكم تكذبون، نسبة المطر يعني كما قلنا قبل قليل، فهذا من باب الذم عليهم نسأل الله عز وجل أن يسلمنا منهم.

ثم قال في الباب الذي بعده: باب قول الله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ﴾ [البقرة:١٦٥]، قال وقوله: ﴿قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ﴾ [التوبة:٢٤].

ثم قال: عن أنسٍ رضي الله تعالى عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "**لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ولده ووالده والناس أجمعين**" أخرجاه، يعني البخاري ومسلم، قال ولهما عنه قال، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "**ثلاث منكن فيه وجد حلاوة الإيمان؛ أن يكون الله**

ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله، وأن يكره أن يعود للكفر بعد أن أنقذه الله منهُ كما يكره أن يُقذف في النار"، نسأل الله العافية، قال وفي رواية "لا يجد أحدًا حلاوة الإيمان حتى كذا وكذا يعني الحديث".

وعن ابن عباسٍ رضي الله عنهما قال:"من أحب في الله وأبغض في الله ووالى في الله، وعاز في الله فإنما أحب ولاية الله بذلك، ولن يجد عبدٌ طعم الإيمان ولو كثرت صلاتُهُ وصومه حتى يكون كذلك.

قال ابن عباس "وقد صارت عامة مؤاخاة الناس على أمر الدنيا، وذلك لا يُجدي على أهله شيئًا" رواه ابن الجرير، وقال ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى: ﴿وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الأَسْبَابُ﴾[البقرة:١٦٦]، قال المودة، هذا الباب أخواتي بارك الله فيكم باب عظيم جدًا، وأرجوا من الأخوات أن ينتبهن له، لأنه يحتاج إلى ذلك.

أولًا المصنف رحمه الله في هذا الباب انتقل نقلة نوعية توقف عن الكلام عن الأشياء التي ذكرناها سابقًا النجوم والاستسقاء والطيرة وكذا وكذا، أعمال ظاهرة انتقل إلى أعمال القلوب، فالمصنف ابتداءً من هذا الباب وستة أبواب بعده جعلها كلها أبوابًا تتعلق بأعمال القلوب.

ابتدأها بالمحبة ثم بالخوف، ثم التوكل ثم ثم وهكذا، يصلح لنا أن نقول في هذا الباب أنه باب ما جاء في المحبة، فهذا في ذكر واجبات التوحيد ومكملاته، وبعض العبادات القلبية، فكيف يكون إفراد الله عز وجل بها.

في هذا الباب تحدث المصنف رحمه الله عن محبة الله ، وعن محبة رسوله صلى الله عليه وسلم، وعن المحبة الشركية وعن المحبة في الله والبُغض في الله، هذا الكلام رائع جدًا لابد أن ننتبه إليه، فهذه المحبة المراد منها هنا في هذا الباب هي المحبة العبادة، وهي المحبة التي فيها تعلق بالمحبوب بما يكون معهُ امتثال للأمر رغبًا إلى المحبوب واختيار واجتناب النهي، أيضًا رغب في المحبوب واختياره، واضح أخواتي بارك الله فيكم؟

فأصبحت الأعمال كلها هو المحبة، فالإنسان لا يعمل إلا لما يُحب، إلا لجلب منفعة أو لدفع مضرة، فإذا عمل شيئًا فإنه يُحبه إما لذاته كالطعام وإما لغيره كالدواء، فعبادة الله عز وجل مبنية على المحبة بل هي حقيقة العبادة المحبة.

لذلك سيأتينا من أحب في الله، وأعطى في الله، ومنع في الله فقد استكمل الإيمان فسيأتينا إن شاء الله في التعليق على أثر ابن عباس الأخير لأن هذا فيه ضعف.

الآن في هذا الكلام أخواتي بارك الله فيكم المحبة على أنواع؛ النوع الأول المحبة الشركية، وانتبهوا في ضابطها هي المحبة المستلزمة للذل والطاعة

والخضوع، والمؤدية للفعل الشرك أو الكفر نسأل الله السلامة، هذه المحبة الشركية.

مثال ذلك، فبالمثال يتضح المقال، أليس كذلك أخواتي بارك الله فيكم؟ مثال ذلك أن تدفعكِ محبة شخصٍ إلى طاعته في الكفر، يعني الكفر الأكبر أو إلى الوقوع في الشرك الأكبر، ودليلة الآية الأولى التي مرت معنا.

أو أن تدفعكِ محبته إلى عبادته نفسه نسال الله السلامة، كالذبح له والسجود لهو الاستغاثة به، وهذا نوعٌ من أنواع الشرك الأكبر والعياذ بالله، واضح هذا النوع الأول المحبة الشركية.

النوع الثاني المحبة التي هي من باب الكفر، وهي محبة الكفار لدينهم أو محبة دينهم،فهذا كفر والعياذ بالله، قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ﴾[المائدة:٥١]، قال: ﴿بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾، وقال صلى الله عليه وسلم: "**المرء مع من أحب**" وهذه المحبة تعتبر من باب الكفر لا من باب الشرك.

النوع الثالث محبةٌ جائزةٌ في الأصل، وهي أنواع وانتبهوا أخواتي إلى هذا النوع محبةٌ جائزةٌ في الأصل وهي أنواع، النوع الأول محبة طبيعية كمحبة المال أو محبة الزوج أو محبة الزوجة وما شابه ذلك، قال صلى الله عليه وسلم: "**حُبب إليّ**

من دُنياكم النساء والطيب" هذا قول النبي صلى الله عليه وسلم في المحبة الطبيعية، يعني طبع الناس على هذه الأشياء.

وهذه المحبة الطبيعية أخواتي بارك الله فيكم تختلف من شخص إلى آخر، فبعضهم قد يحبهم الطيب، وبعضهم لا يحب الطيب بل يحب مثلًا الذهب، بعضهم تحب الملابس وهكذا، فتتغير من شخص إلى آخر.

النوع الثاني محبةُ إجلالٌ وتقدير، وهذه مثالها كمحبه الولد لوالدة، أو محبة الولد لوالدته، أو محبة الطالب لمعلمه، فهي محبة إجلالٍ وتقدير، واضح بارك الله فيكم؟

النوع الثالث محبة إشفاق؛ وهذه كمحبة الوالد لولده أو الأم لابنها، أو محبة المسكين والمريض أو الإنسان الذي عنده نوع ضعف، فالناس يحبونه محبة إشفاق، واضح أخواتي بارك الله فيكم النوع الثالث من أنواع المحبة الجائزة في الأصل؟

النوع الرابع محبة أُلفِ وأُنس، يعني للألف والمؤانسة، كمحبة المشتركين في صنع، أو محبة الذين من بلد واحدة في الغربة، يعني بعض الأخوات يدرسن في صفٍ واحد، فتقع المحبة بينهم، أو يعملن في مكان واحد، فهذه المحبة سببه المؤالفه والمؤانسة، أو أُناس الرابط العمل مثلًا أو الجيرة أو أن يكونوا في بلد غربة، ويكون قريبين من بعضهم معنويًا أو ماديًا.

وهذه المحاب كلها الأصل فيها أنها جائزة انتبهوا، لقوله تعالى: {قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ} [التوبة:٢٤]، الآية، قال في نهايتها، (أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ) ، قلت هذه المحاب جائزة والدليل قوله في الآية: {أحبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ}، وجه الدلالة أنهم ذموا في الآية لأنهم فضلهم هذه المحاب على الله ورسوله، لا لأنهم أحبوها في الأصل، فهم لم يذمهم الله في ابتداء المحبة وإنما ذمهم بسبب تفضيلهم هذه المحبة على محبة الله ورسوله صلى الله عليه وسلم.

النوع الرابع من أنواع المحبة، المحبة المحرمة وضابطها أن تدفعكِ هذه المحبة الجائزة إلى فعل محرمٍ أو ترك واجبٍ، هي في الأصل قد تكون المحبة جائزة لكنها دفعتكِ إلى أن فعلتِ محرمًا.

مثلًا اشترى رجلًا تلفازًا محبة لأولاده ولزوجته، أو حلق لحيته نسأل الله السلامة لماذا؟ محبة لزوجتِه، أو خلعت جلبابها أو خمارها محبة لزوجها هذا قد يحصل، نعم هذا حصل ووقفنا على أمثلة نسال الله السلامة، فهنا بسبب هذه المحبة فعل محرمًا أو ترك واجبًا، فهذه الأمثلة فعل محرم، طيب كيف يترك واجب، فمثلًا ترك صلاة الجماعة على قول من يقول أنها واجبة وهو الذي عليه محققون أهل العلم، فتركه محبة للمال يجمع ويعمل ويشتغل، وترك أمر معروف بالمنكر محبة للمنصب، فهذه نسأل الله السلامة شائعة بين المسلمين.

فهل هذا النوع من المحبة المحرمة هو شركٌ أو لا؟ فيها خلاف، بعضهم قال أنها محرمة، وبعضهم قال أنها شركٌ أصغر، والدليل على كونها شركًا أصغرًا حديث أبي هريرة رضي الله عنه: "تعس عبد الخميلة" هذه تسمى المحبة، هذه المحبة محرمة.

هيا أصلها مباحة لكن فعلت فعلًا محرمًا، والذي يظهر حكمها شركًا أصغر كما في حديث أبي هريرة رضي الله عنه:حديثه عن النبي صلى الله عليه قول النبي طبعًا: "تعس عبد الخميلة، إن أُعطي رضي كذا وكذا الحديث.. " فسماه عبدًا والأقرب والله أعلم أنه من باب الشرك الأصغر.

والذي يقول أنها فقط محرمة ليس لها دليل، الفرق بين هذه المحبة والمحبة الشركية التي ذكرتها في النوع الأول كلاهما يشترك في أن ما حرم الله في القسمين هو المحبة، كلاهما يشترك في هذا الدافع هو المحبة، لكن يفترقا أن المحبة الأولى تدفعه إلى فعل الأعمال الكُفرية، وهذه تدفعه على فعل المحرمات أو ترك الواجبات، وهذه الأمور لا يكفر من فعلها أو تركها.